التّباين الدّلالي وانعكاسه على جمالية الكلمة القرآنية.

درني حورية*
جامعة مصطفى إسطمبولي .معسكر، houria.derni@univ-mascara.dz
إشراف: بن فطة عبد القادر

الإرسال: 2019/10/15 القبول: 2020/11/20 النشر: 10 /2020/12

الملخص:

إنّ معرفة التباين الدلالي وإدراك مختلف الفروق بين الكلمات وكذا بين التراكيب ، مبحث هام في اللّغة فضلا عن القرآن الكريم ، فلا يجوز أن نغفل عن فقه معانيه انطلاقا من أصغر وحداته إلى النّص برمته ، فذلك كفيل للوصول إلى مقاصده ، وإدراك دلالته ، فكلّما تعمقنا في لغة القرآن ازددنا يقينا من أنّنا جاهلون بأسراره ، واكتشاف درره وتذوق بيانه ، و هذا ما يظهر في حروفه وكلماته التي لو زحزحتها عن أماكنها لرأيتها متذبذبة نافرة ، وكأنها آنست موقعها واستوحشت بغيره ، وهذا مردّه إلى دقة اختيارها وحسن انتقائها ، واختلافها عن غيرها ولو شابهته ، ما أضفى عليها جمالية لا يمكن أن تكون فيما عداها ، ولأجل ذلك انطلقنا من ظاهرة التباين و الفروق بغية الوصول إلى جمالية الكلمة القرآنية.

و السؤال المطروح هو: كيف انعكس إدراك التباين الدلالي ومعرفة الفروق اللغوية على جمالية الكلمة القرآنية ؟

الكلمات المفتاحية:

لغة القرآن الكريم ، جمالية الكلمة القرآنية ، التباين الدلالي ، الفروق اللّغوية.

* **المؤلف المرسل :** درني حورية، houria.derni@univ-mascara.dz

The semantic variation and its reflection on the aesthetics of the Quranic word.

Abstract:

Determining the semantic variationby recognizingthe differences between words,is an important issue in the language as well as in the Holy Quran, so we should focus on its meanings from the small units to the text as a whole,asthis leads to knowits purposes and significance. The more we study the language of the Quran, the more we discover how much we ignoreits secrets, pearls and rhetoricthat appear in its letters and words, which will beHeterogeneousif we displace them, because of their accuracy selection and distinction from the others despite they appeared similar.Within this frame work, we start our study from thephenomenon of variation and difference in order to reach the aesthetics of the Quranic word.

The question asked is: How could perceivingsemantic variation and linguistic differences reflect the aesthetics of the Qur'anic word?

Key words :The language of the Quran, the aesthetic of the Quranic word, the semantic variation,,the linguistic differences.

1. مقدمة:

كان للقرآن العظيم أثر واسع في حياة الناس عامة والعرب خاصة ، فقد هذّب النفوس وأثرى العقول وأنار الألباب ، ولم يترك لنا بابا من أبواب العلم إلاّ فتحه ، ولا طريقًا من طرق الخير إلاّ وجّهنا إليه ، ونزوله باللّغة العربية بنا لنا صرحا لحضارة عريقة يُشهد لها يقول محمد أبو شهبة : " فالقرآن بحر لا يُدرك غوره ، ولا تنقضي عجائبه ، فما أحق الأعمار أن تُفنى فيه ، والأزمان أن تُشغل به".

وقد حظيت الكلمة القرآنية بقدر كبير من العناية في دقة اختيارها ، وجودة انتقائها و روعة بيانها ، وهذا ما يعكس وجها من وجوه الإعجاز الذي تفردت به لغة القرآن ، وأضفى عليها جمالية وخصوصية لا يمكن أن تكون في غيرها من كلام الإنس والجن ولو اجتمعوا له ، وهذا ما يجسد بديع بيانه ، وسر إحكامه " إن للكلمة القرآنية مزية لا تجدها في الكلمات التي يتكون منها كلام النّاس وتعابيرهم ، مهما سمت إلى مدارج البلاغة والبيان ، فهي:

أولا: تتناول من المعنى سطحه وأعماقه وسائر صوره وخصائصه ، حيث لا تقف عند العموميات التي تقف عند حدودها تعبيراتنا البشرية.
ثانيا: تمتاز عن سائر مرادفاتها اللّغوية بتطابق مع المعنى المراد ، فمهما استبدلت بها غيرها ،لم يسدّ مسدّها ، ولم يغن غناها ، ولم يؤد الصورة التي تؤديها".[1]

ويؤيد هذه الحقيقة مصطفى صادق الرافعي حين قال:" ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تراكيبها ، كأنها فوق اللّغة ، فإن أحدا من البلغاء لا يمتنع عليه فصح هذه اللّغة العربية متى أرادها ، وهي بعد في الدواوين والكتب ، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه ، وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها ، لأنّها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع...ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللّغوية أو البيانية التي هي طبيعية فيها ، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم ، وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللّغة"[2]

وهذا أمر طبيعي –لا يختلف فيه اثنان- في لغة القرآن الكريم الذي أعجز أهلها بنظمه ، فتحداهم في أسمى ما يتقنون ويتبارون فيه ويتباهون ، غير أنّ القضية التي تشغلنا في هذا الموضوع وسنحاول إثارتها في ثنايا البحث ، لا تتعلق بالمفردة القرآنية في حدّ ذاتها ، ولكن في انتقائها وحسن اختيارها في موضع معيّن دون غيرها ، وهي القضية التي يجهلها الكثيرون ويتغافل عنها آخرون ، وتتجلى في معرفة الدلالة الدقيقة للمفردة في كلّ موضع وُجدت فيه وإدراك ما تميزت به عن غيرها ، حيث:" يتأنق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه ، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها ، يستخدم كلام ، حيث يؤدي معناه بدقة فائقة ، تكاد بها تؤمن بأنّ هذا المكان كأنّما خلقت له (والأولى أن يقول وضعت له) تلك الكلمة بعينها ، وإنّ كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها ، فكلّ لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداءً ، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفاً ، بل فيه كلّ كلمة

تحمل معنى جديدا ، ولما بين الكلمات من فروق ، ولما يبعثه بعضها في نفس من إيحاءات خاصة ، دعا القرآن ألاّ يستخدم لفظ مكان آخر".[3]

والدعوة للتأمل في الفروق القائمة بين المفردات التي تؤدي معاني متقاربة والتباين الدلالي بينها ، أمر حتمي لفهم الوحي القرآني ، وفقه الكلام الرباني ، ولذلك لم يبتعد المفسرون والمشتغلون بالدّراسات القرآنية عن هذا الدّرس اللّغوي ، ففهم المعاني طريق لاستنباط الأحكام وتأصيل القواعد.

وقد اعتبر الخطابي(388 ه) اختيار اللفظ المناسب للموقع المناسب عمود البلاغة القرآنية ، حيث يقول: " هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره ، جاء منه إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإمّا ذهاب الرّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، وذلك أنّ في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني ، يحسب أكثر النّاس أنّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة ...و الحمد والشكر...وبلى ونعم ، وذلك وذاك ، ومن وعن ، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصّفات...لأنّ لكلّ لفظة منها خاصة تتميّز عن صاحبتها في بعض معانيها ، وإن كانا قد يشتركان في بعضها".[4]

يقول محمد حسين الصّغير تعليقا على ما قاله الخطابي:" لقد كان الخطابي دقيقا فيما أورده من إفاضات في هذا المجال ، استند فيه إلى المتبادر في العرف العربي شعرا ومثلاً وكلمة وقولاً ، مصدقا على ما يريد ، وقلّب كل لفظ في وجوهه المحتملة ، فضلاً عن استنارته بآراء علماء العربية ، وأهل اللغة وأئمة البيان ، مستوفياً بذلك موقع اللّفظ في دلالته على المعنى ، وصحة اختياره في استيفاء المؤشر الدّلالي ، مؤكدا على الفرق العربي والاستعمال البياني ، والأصالة اللّغوية في كشف الدلالات التي ينطوي عليها اللفظ المختار في الآيات المشار إليها اللّفظ ذاته دون ما سواه ، ومعلّلا بفطرة نافذة دقة التراكيب من خلال وضع الألفاظ بأماكنها المحدّدة لها ، بحيث لو استبدلت بالمرادف أو المساوي لفقدت مميّزات لا تتوافر باللّفظ البديل."[5]

وهذا التعقيب على ما جاء به الخطابي جامع وملّم ، حيث دلّ و بوضوح على رأيه إزاء القول بالتّرادف ، وإشارته إلى وجوب التّفريق بين الألفاظ التي ظاهرها التشابه و التّطابق

وباطنها الاختلاف والتّباين ، وهذا يدلّ على إعجاز الكلمة القرآنية وتميّزها عن غيرها ، ممّا جعلها تلازم موقعها ولا تكاد تنفك عنه ، وفيه دعوة للتأمل في روعة البيان القرآني.

وبناء على ذلك فإن معرفة التباين الدلالي بين الكلمات القرآنية مبحث هام لا يجب إغفاله ، فهو يجسد لنا وجها من وجوه إعجازه لا يمكن أن يكون في غيره .

فكيف انعكس إدراك التباين الدلالي ومعرفة الفروق اللغوية على جمالية الكلمة القرآنية ؟

2. المفردة القرآنية بين الترادف و الفروق :

إنّ حديثنا عن دقة المفردة القرآنية ومناسبتها للمعاني التي وضعت لها ، والتماس التباين و الفروق بين مختلف الكلمات التي يظهر لنا تطابقها ، لا يُنسينا مسألة هامة التي من أجلها كان الخوض في هذا الموضوع ، هذه المسألة هي التّرادف ، "فقضية التّرادف من القضايا التي شغلت القدماء والمحدثين على السواء ، وكان لها مؤيدون ومنكرون ، فمنهم من أكدّ على وجود التّرادف بمعناه الشامل في ألفاظ اللّغة ، ومن هؤلاء ابن جني (ت392ه) ،وابن سيّده (ت485ه) ، ومنهم من أنكر وجود هذا التّرادف التّام الكامل ، باعتبار أنّ ثمّة شحنة دلالية في كلّ لفظ ، لا توجد في نظيره ، ومن هؤلاء ابن الأنباري (ت237ه)، وابن فارس (ت395ه)، فهؤلاء وغيرهم ممن تبعهم في قولهم ، لم ينكروا إمكانية وقوع التّرادف بمعناه العام ، ولكنّهم نبّهوا إلى وجود فروق دقيقة بين المترادفات ".[6]

ومن هنا نخلص إلى أنّ التّرادف ثابت في شكله العام ، كمبحث لغوي يقوم بتقريب معاني الكلمات المراد تفسيرها ، إلاّ أنّه ثمة فروق دقيقة بين معظم المترادفات ،لا يتنبّه لها إلاّ من تضلّع في اللغة.

1.2 التّرادف:

1.1.2 تعريف التّرادف: لغة: يقول ابن منظور:" الرّدف ما تبع الشيء ، وكلّ شيء تبع الشيء ، فهو ردفه ، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو التّرادف ، والجمع الرّدافى... وردف الرّجل وأردفه: ركب خلفه ، وارتدفه خلفه على الدّابة ، ورديفك : الذي يرادفك ، والجمع رُدفاء..."[7].

وفي مختار الصّحاح: "...ردِفه بالكسر ، أي تبعه ، يُقال نزل بهم أمرٌ فرَدِف لهم آخر أعظم منه ، قال تعالى: ﴿ **تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ** ﴾ [النازعات:07] ...وهذه دابة لا تُرادف ، أي لا تحمل رديفًا... والتّرادف: التّتابع"[8]

وفي مقاييس اللّغة ، يقول ابن فارس:" ردف : الراء والدّال والفاء أصل واحد مطّرد ، يدلّ على اتّباع الشيء ، فالتّرادف :التّتابع ...والرّدفان : اللّيل والنّهار..."[9]

اصطلاحا: التّرادف مثلما ورد في التعريفات للجرجاني(816ه):"هو عبارة عن الاتّحاد في المفهوم ، وقيل هو توالي الألفاظ المفردة ، الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد"[10]

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون أنّ التّرادف:" عند أهل العربية والأصول والميزان هو توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك ،في الدّلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة ، وتلك الألفاظ تسمّى مترادفة"[11].

وعلى كلٍّ فإنّ التعريف الاصطلاحي للتّرادف لا يبتعد عن التّعريف اللّغوي له ، وهما يجتمعان في دلالته على التّتابع ، والتّوالي والاشتراك في المعنى ، ومن هنا يتضّح لنا أنّه ليس تطابقًا كاملاً ، بل ثمة أصل وتابع له ، وبالتّالي فإنّ الكلمات التي يُظنّ ترادفها ليست متطابقة كليًّا ، بل متقاربة في معانيها ، فيكون استعمالها في موضع واحد لتقريب المعنى فحسب.

2.1.2. منشأ التّرادف:

نشأ التّرادف في اللّغة العربية لأسباب عديدة ، كان أهمها كما ذكر إبراهيم أنيس ما يلي:

- توسع البيئة اللّغوية ، حيث تضمّ بيئات مختلفة فيها ألفاظ متساوية المعاني ، كما حدث في الجزيرة العربية.
- استعارة كلمة من لهجة لأخرى ، أو لغة لأخرى - تولد أسماء جديدة من كلمات ، كانت تستعمل صفات : المهنّد واليماني من أسماء السّيف.
- تناسي المجازات - تناسي الفروق بين الألفاظ المتشابهة.[12]

وربّما كان السبب الأخير الأقوى في توسيع دائرة التّرادف ، وذلك أنّ العرب الأوائل كانوا يتحرون الدّقة في إطلاق الأسماء على مسمياتها ، ولكن بعدما حلّ الضعف في اللّغة ، ظهرت المسميات العديدة على المعنى الواحد ، وهذا ما انعكس سلبا على اللّغة ، ليصل بها في نهاية المطاف ، إلى هجران الكثير من مفرداتها والاكتفاء بالمستعمل عادة ، أي بمعجم لغوي محدود جدّا ، حيث :" كان اللغويون أيام ازدهار اللّغة يعنون بإبراز الفروق بين الألفاظ ، وقد كان كتّاب العربية في العصور الزاهرة ، يحرصون على دقة التّعبير ،ووضع الألفاظ في مواضعها..."[13].

حتّى:" أصاب العربية في عصور الانحطاط المنصرمة مرض العموم والغموض والإبهام ، كما أصابت هذه الآفات التفكير نفسه ، فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة ، فعُدّت مترادفة ، وكثر استعمال الألفاظ في المعاني المجازية ، وصرفت عن معانيها الأصلية ، فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال وزالت الخصائص المميّزة ، والفروق الفاصلة ، وأصبح لكلّ موضوع مهما تكرّر قوالب من اللّغة ثابتة ، وأداة من اللّفظ لا تتغيّر ، وتعابير مصوغة لكلّ مناسبة أو موضوع ، تنقل وتلصق كلّما تكرّرت تلك المناسبة أو عرض ذلك الموضوع.[14]

ورغم كلّ هذا ، فإنّنا نجد طائفة من العلماء ، يقولون بالتّرادف ، ولكلٍّ ما يبرر قوله.

3.1.2 مذهب القائلين بالتّرادف: من أبرز من قال بالترادف :

- ابن خالويه (370هـ): يفتخر ابن خالويه ، بحفظه خمسين اسما للسّيف ، كما روي ذلك عن أبي علي الفارسي ، فقال:" كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل العلم ، وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسّم أبو علي ، وقال: ما أحفظ له إلاّ اسما واحدا ، وهو السّيف ، فقال ابن خالويه: فأين المهنّد والصّارم ، وكذا و كذا ، فقال أبو علي : هذه صفات."[15]

فحديثه وافتخاره بحفظ عدّة مسميات للسّيف دلّ على تأييده للتّرادف ، كما دلّ في المقابل على إنكار أبو علي للتّرادف واعتباره تعدد المسميات إنّما هو على سبيل الوصف لمسمى واحد.

-**الأصمعي:** نقل أحمد ابن فارس خبرا للأصمعي (ت216ه) ، حين سأله الرّشيد عن شعر غريب ، ففسّره ، فقال الرّشيد: يا أصمعي إنّ الغريب عندك لغير غريب ، قال: يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك ، وقد حفظت للحجر سبعين اسمًا"[16]

وهذا أيضا موقف واضح من الأصمعي ، يقول فيه بالتّرادف ، ويقرّ بذلك ، ممثلاً بوجود سبعين اسما للحجر.

.سيبويه: قسّم سيبويه (ت180ه) ، اللّفظ إلى أقسام ، فقال: "هذا باب اللّفظ للمعاني: أعلم أنّ من كلامهم- يعني العرب- اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد ، واتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين."[17]
فهو يشير في قوله : "اختلاف اللّفظين والمعنى واحد" ، على التّرادف ، ومثّل له بذهب وانطلق.

. **ابن جني(392ه):** حيث يقول في كتاب الخصائص" وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسُمعت في لغة إنسان واحد ، فإنّ أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفًا منها ، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كلّه ، هذا غالب الأمر..."[18]

فقد أثبت الرّجل التّرادف و يرى أنّ مردّ -تعدد الأسماء للمعنى الواحد- يرجع إلى اختلاف القبائل.

2.2 الفروق :

1.2.2تعريف الفرق:

لغة:الفروق (ج) فرق ، والفرق في اللغة يدور في أكثر تصاريفه حول معنى الفصل بين الشيئين ، جاء في لسان العرب:" الفرق تفريق ما بين الشيئين حين يتفرّقان ، والفرق : الفصل بين الشيئين...قال تعالى: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ [المرسلات ، الآية:04] ، قال ثعلب: هي الملائكة تزيّل بين الحلال والحرام ،... والفاروق : ما فرّق بين شيئين ، ورجل فاروق: يفرّق ما بين الحقّ والباطل...والفرق ما انفلق من عمود الصّبح لأنّه فارق سواد اللّيل".[19]

وفي معجم مقاييس اللّغة ذكر ابن فارس إنّ:" الفاء والرّاء والقاف أصيل صحيح يدلّ على تمييز وتزييل بين شيئين ، ومن ذلك الفرق ، فرق الشعر ، يقال فرقته فرقًا ...والفِرق :

الفِلق من الشيء إذا انفلق ، قال تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ [الشعراء ، الآية:63]...والفرقان : كتاب الله فرّق بين الحق والباطل ،والفرقان :الصّبح ، سمي بذلك لأنّه به يفرق بين اللّيل والنّهار..."[20]

فالفرق بالمعنى اللغوي يأتي في القرآن الكريم ويراد به الفصل والتمييز ،ومن ذلك أيضا قوله ﴿**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ (البقرة:50)، وقال تعالى: ﴿**فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ [المائدة: 25]، وقال أيضا: ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ [الدخان:04].

اصطلاحا: عني العلماء في كلّ فن من الفنون وكلّ علم من العلوم بتعريف الفروق ، وعلى الرّغم من تعدّدها إلاّ أنّها تتقارب في معانيها ف" البحث في الفروق يعدّ من مكملات العلوم ، إن لم يكن من ضروراتها ، إذ به يقع التمييز بين المتشابهات ، وإليه يستند التّفريق بين الأحكام ، وعليه يعتمد العلماء في كثير من القضايا والواقعات ، وقد استهوى البحث عن الفروق العلماء من كلّ صنف ، فظهرت فيه المؤلفات المتنوعة ، والأبحاث الكثيرة في العلوم الشرعية والعلوم اللّغوية ، والعلوم الأخرى"[21].

فاللّغويون يعرّفون الفروق على أنّها:" الألفاظ التي تقاربت في معانيها ، وأشكل الفرق بينها ، والوقوف على حقائق معانيها وأغراضها."[22]

وجاء في الكليات للكفوي (1094ه):" الفرق قد يكون في الأجسام ، وقد يكون في المعاني ، والفرقان أبلغ من الفرق لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل ، والفرق يستعمل في ذلك و في غيره. والتّفريق في الأعيان ، يُقال: فرقت بين الحكمين مخففا ، وفرّقت بين الشخصين مشددا...فالمعاني لطيفة والأجسام والأعيان كثيفة ، فأعطوا الخفيف اللّطيف ، والشديد للكثيف"[23]

وانطلاقا من هذه التعريفات للفروق يتضّح لنا أيضا أنّ الفرق في اللّغة يتقارب مع تعريفه الاصطلاحي ، ومبحث الفروق قد تناوله القدامى والمحدثون بالدّراسة والتأليف سواء في اللّغة أو أصول الفقه أو غيرهما من العلوم.

2.2.2 مذهب القائلين بالفروق:

ذهب طائفة من العلماء ، إلى وجوب تحري الفروق الدقيقة بين المفردات ، وعدم تجاهلها ، وإلا كان ذلك إجحافًا في حق اللّغة ، التي حرص أصحابها إلى وضع كلّ لفظ موضعه الأنسب له ، حيث: يعتقد المانعون للتّرادف أن المثل الأعلى للغة ، عبارة عن لفظ واحد ، فلا ترادف ولا اشتراك ، فاختلاف العبارات والأسماء ، يوجب اختلاف المعاني ، يشهد على هذا أنّ الاسم إنّما هو كلمة تدّل على معنى دلالة إشارة ، فإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعُرف ، فلا مبرر للإشارة إليه ثانية أو أكثر...والقول بالتّرادف يؤدي إلى تعطيل فائدة أحد اللّفظين لحصولها في لفظ آخر ، والأمر الثاني إلى منع التّرادف : الحاجة إلى الاختصار والاقتصار على ما يؤدي الغرض المقصود من اللّغة ، والقول بخلاف هذا يؤدي إلى تكثير اللّغة بما لافائدة فيه ولا حاجة إليه ، أمّا الأمر الثالث: أنّ المؤنة في حفظ الاسم الواحد أخف من حفظ الاسمين ، فكيف والمسألة لم تقتصر على اسمين ، بل مئات أحيانا وألوف أحيانًا ، والأمر الرّابع: أنّ ما دوّن في المعاجم وكتب اللّغة على أنّه من المترادفات ليس في حقيقته كذلك ، بل إنّ العرب كانت تفرّق بينه ، وتعرف لكلّ لفظة دلالتها الخاصة بها ، ولا يلزم من جهلنا بهذه الفروق تجهيل العرب بها أيضًا.[24]

ولهذه الأمور ذهب طائفة من أهل اللّغة والمفسرين وغيرهم إلى نفي التّرادف التّام ، والتّطابق المطلق بين الكلمات ، حفاظًا على الدلالات العميقة التي تختفي وراء المفردات ، وتكسبها معان ليست في غيرها.

3.2.2 القائلون بالفروق :

. ابن الأعرابي(ت231): أول ما وصل إلينا بصدد إنكار التّرادف ، هو ما حكاه ثعلب عن أستاذه ابن الأعرابي ، القائل: كلّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كلّ منهما معنى ليس في صاحبه"[25] ، ولعلّ أفضل ما يمثّل له في قوله ما ساقه ابن جني في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ، فقد أشار ابن جني نفسه أنّ في كلمة أزّ معنى لا يمكن أن نجده في هزّ ، على الرّغم من التّقارب في المخرج بين الهمزة والهاء إلاّ أنّ الأولى تعني التحريك بقوة ، والثانية تدلّ على التّحريك برفق ، وهذا الفهم يوحي إلينا بعدم ترادف الكلمتين ولو تقاربتا في المعنى.

-**ثعلب:** وقد تابعه — يعني ابن الأعرابي- في ذلك تلميذه ثعلب(ت291هـ)، حين ذكر:" إنّ كلّ ما يُظن من المترادفات ، فهو من المتباينات التي تتباين بالصّفات كما في

:الإنسان والبشر ، فإنّ الأول موضوع له باعتبار النّسيان ، أو باعتبار أنّه يؤنس ، والثاني أنّه بادي البشرة."[26]

فموقف ثعلب أيضا واضح في إنكاره للتّرادف ، واعتباره أنّ دلالة كلّ مفردة تتباين عن دلالة أختها ، ومثّل لذلك بكلمتي : الإنسان والبشر التي يظهر لنا لأول وهلة أنهما بمعنى واحد ، غير أنّ المادة المعجمية لكلٍّ منهما تدلّ على اختلاف في معنييهما.

-**أبو بكر ابن الأنباري:** ذهب إلى قول ابن الأعرابي أبو بكر ابن الأنباري(ت328ه) ، فبعدما ساق قولاً لابن الأعرابي في بيان دلالة بعض المفردات ، والتي لا يشاركها في المعنى غيرها ، قال:" وقول ابن الأعرابي هو الذي نذهب إليه للحجة التي دلّلنا عليها ، والبرهان الذي أقمنا فيه".[27]

- أبو علي الفارسي: تابع الفارسي(ت377ه) شيخه ثعلبًا ، في إنكاره للتّرادف ، وقد نُقل عنه:" كنت بمجلس سيف الدّولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللّغة ، وبينهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه :أحفظ للسّيف خمسين اسماً ، فتبسّم أبو علي ، وقال: ما أحفظ له إلاّ اسما واحدا ، وهو السّيف ، قال ابن خالويه : فأين المهنّد والصّارم وكذا وكذا ، فقال أبو عليك هذه صفات."[28]

.**أبو هلال العسكري:** وضع أبو هلال (ت395ه) كتابًا خاصًّا سمّاه (الفروق اللّغوية) ، وصرّح في مقدمته إنكاره للتّرادف حيث قال:" الشّاهد على أنّ اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني ، أنّ الاسم كلمة تدّل على معنى دلالة الإشارة ، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف ، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة ، وواضع اللّغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد..."[29]

هذه آراء ثلة من العلماء الذين أنكروا التّرادف في اللّغة العربية عموماً وفي لغة القرآن الكريم على وجه الخصوص ، وفي المبحث التالي سنعرض لبعض آراء من نفى التّرادف في القرآن الكريم ، باعتبار أن لكلّ لفظة معنى مستقل عن غيره يمنحها خصوصية ليست في غيرها.

3.2.2. الفروق في القرآن الكريم:

إنّ القول بالتّرادف المطلق سلب اللغة العربية دقتها ومميزاتها ، فكيف إذا تعلّق الأمر بلغة القرآن الكريم المعجز بكلّ حرف فيه ، فلم توضع كلماته صدفة أو تعسفاً ، وإنّما كان لكلّ مفردة مكانها ، والذي إذا حلّت فيه أخرى لوجدتها نافرة ، ولما قويت قوّتها ، وأدت معناها المراد ، يقول محمد أبو زهرة:" إنّ الألفاظ في ضمن الأسلوب البياني الرّائع ، ونعتقد مؤمنين أنّ كلّ لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته ،وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته ، ويساعد بعضه بعضا في المعاني العامة للأسلوب والعبارات الجامعة ، وإنّ العبارات مجتمعة يساعد بعضها بعضًا.[30]

والتماس الدّقة فيه وجه من وجوه إعجازه الذي تفرّد به ، وضرب من ضروب فصاحته ، حيث:" يذهب جمهور العلماء إلى نفي التّرادف في القرآن الكريم ، وحتّى وإن قال بعضهم بوجوده في اللّغة العربية ، نظرا لبلوغ القرآن الكريم أعلى درجات الفصاحة ، وتسنمة ذروة البلاغة ، فليس فيه لفظة نابية عن مكانها ، أو نافرة في سياقها ، فقد استوت كلّ كلمة فيه في مكانها الأشكل بها ، المناسب لها ، بما لا مجال معه لإبدال حرف مكان آخر ، فضلا أن تقوم لفظة مكان أخرى في تأدية كامل المعنى."[31]

ولقد اهتم القرآن بهذه القضية ، وخير دليل على حرص القرآن لاستعمال الألفاظ في أماكنها الخاصة بها ، والتّقيد بالدّقة المتناهية في ذلك ، ما نبّه له من وجوب التّفريق بين لفظتي الإيمان والإسلام في دعوى الأعراب في هذا ، فلم يرض دعواهم الإيمان ، وإن سلّم لهم بالإسلام ، قال تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات من الآية14].

والاهتمام بتحري الدّقة كان أيضا من هدي النبي صلى الله عليه وسلّم ، أخرج البخاري في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن سعد رضي الله عنه ، أنّه قال:" أعطى رسول الله صلى اللّه عليه رهطا- وأنا جالس فيهم ،قال: فترك رسول الله صلى الله عليه وسلّم رجلا لم يعطه- هو أعجبهم إليّ- فقمت إلى رسول الله فساررته ، فقلت: مالك عن فلان؟ و الله إنّي لأراه مؤمنا ، فقال:أو مسلما ، فسكتّ قليلاً ثم غلبني ما أعلم فيه ، فقلت:يا رسول الله مالك عن فلان؟و الله إنّي لأراه مؤمنا ، فقال:أو مسلما ،قال: فسكتّ قليلا ثم غلبني ما أعلم فيه ،فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان والله إنّي لأراه مؤمنا ، قال: أو مسلما ، إنّي لأعطي الرّجل وغيره أحبّ إليّ منه ، خشية أن يُكبّ في النّار على وجهه."[32]

فهذا الحديث وإن لم يُصرّح فيه بوجود الفروق بين المفردات المتقاربة في ظاهرها ، إلاّ أنّه يوحي إلينا بذلك من خلال ما ورد من وجوب التّفريق بين الإسلام والإيمان ، اللتان أصبحتا بمفهوم واحد عند كثير ممن يجهل دلالة كلاً منهما.

وإلى ذلك ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: مقدمة في أصول التّفسير:" من الأقوال الموجودة عندهم- يعني السّلف- ويجعلها بعض النّاس اختلافًا ، أن يعبّروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة ، فإنّ التّرادف في اللّغة قليل ، وأمّا في ألفاظ القرآن إمّا نادر وإمّا معدوم ، وقلّ أن يعبّر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه ، بل يكون فيه تقريب لمعناه ، وهذا من أسباب إعجاز القرآن..."[33]

وهذا مذهب ابن تيمية(728ه) في المسألة ، إذ يكاد يجزم بعدم وجود التّرادف في القرآن الكريم ، وإن كان قد أثبته في اللّغة على قلة ، ولعلّه موقف وسط من ابن تيمية جعلنا نتوسط في هذه القضية ، ووجود فروق في اللغة القرآنية ،ألهمنا تأملاً في جمالية كلماته وخصوصية تنمّ وتجسّد عن مدى إعجازه من جميع الوجوه.

3. نماذج للتباين الدلالي والفروق في لغة القرآن الكريم:

لقد حرص أهل اللّغة والمشتغلون بتفسير القرآن الكريم على الفهم الصّحيح للغة القرآن ، للوصول إلى الأبعاد الدلالية الكامنة في ألفاظها وتراكيبها ، ومن ذلك التّمعن في الفروق الدّقيقة بين الكلمات التي يظهر لنا- لأول وهلة- لأنّه متّفقة في المعنى ، والحقيقة أنّ لكلّ لفظة خصوصية تميّزها عن غيرها ، وخاصة في لغة القرآن الكريم — كما ذكرنا سابقا- ومن أمثلة ذلك نذكر ما يلي:

1.3 الأب والوالد:

الأب في اللغة: سبب وجود الشيء ، أو إصلاحه أو ظهوره ، وسمي الأب أبًا لأنّه يقوم على إصلاح الأبناء ورعايتهم بالتربية والغذاء ، والوالد في اللغة: الأب المباشر ،الذي هو سبب وجود الابن ، فالوالد خاص ، والأب عام ، والاستعمال القرآني للفظين يراعي ما لكلّ منهما من ملامح دلالية خاصة ، فالأب يُطلق على الأب المباشر ، كما في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ**﴾ [من الآية4، يوسف]، كما يطلق على الجدّ وإن علا نحو قوله تعالى: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ **[من الآية: 78 الحج]**، وورد مجموعا للدلالة على سلسلة الأجداد ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا**

أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [البقرة:170] ، أمّا الوالد في الاستعمال القرآني فقد اقتصر على معنى الأب المباشر الذي هو سبب وجود الابن ، ويأتي في أغلب المواضع في صيغة الأنثى ، إيماء إلى أنّ الأنثى هي الوالدة على الحقيقة ، وألحق بها الأب ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾** [البقرة 83] ، وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ [لقمان من الآية:33]** ،ولم يرد الوالد مجموعا في القرآن الكريم ، وفي هذا قرينة على أنّ اللّفظ مقصور على الأب المباشر دون غيره.[34]

2.3 الإملاق والفقر:

أصل الإملاق : الإنفاق ، يُقال: أملق ماله ، أي أنفقه ، وقيل هو الإسراف في الإنفاق ، وسُمي الفقر إملاقًا من حيث إنّ الإسراف في الإنفاق يؤدي بصاحبه إلى العوز والحاجة ،والذي عليه القرآن الكريم أنّه راعى الأصل دون النّظر إلى ما آل إليه الإملاق من الفقر ، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾** [الأنعام من الآية: 151] ، وقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾** [الإسراء : 31] ، فالخشية ليست من الفقر حقيقة ، وإنّما من خوف الآباء أن يصيبهم الفقر والحاجة من الإنفاق على الأولاد ، فالإملاق هو افتقار بعد غنى ،أمّا الفقر فهو ضدّ الغنى ، وهو عبارة عن فقد ما يُحتاج إليه ، ولذلك فالفقر في القرآن مقترن بضدّه ، قال تعالى﴿**وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾** [محمد: من الآية:38] ، وقال أيضا: ﴿ **وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [** النور من الآية:32] ، إذن فالفقر يأتي في موضع فقد الشيء وعدم وجوده.[35]

3.3 الإنكار والجحد:

ويظهر الفرق بينهما في كون الجحد أخص من الإنكار ، وذلك أنّ الجحد إنكار الشيء الظّاهر ، والشاهد قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾** (الأعراف:51) ،فجعل الجحد ممّا تدل عليه الآيات ، ولا يكون ذلك إلاّ ظاهرا ، قال تعالى: ﴿**أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾** [النحل: من الآية83] ،فجعل إنكار الشيء مع العلم به ، والشاهد قوله تعالى﴿**وَجَحَدُوا بِهَا**

وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل من الآية14] ،فجعل الجحد مع اليقين ، والإنكار يكون مع العلم وغير العلم.[36]

فاعتمادا على السياق الذي وردت فيه الآيات والمتضمنة لكلمتي الإنكار والجحود ، عُلم الفرق بين المفردتين ، وأنّه لا يمكن لإحداها أن تحل محل الأخرى بدعوى التّرادف.

4.3 انبجس وانفجر:

الانبجاس في اللّغة : انشقاق الأرض وخروج الماء منها ، والانفجار في اللّغة: انشقاق الشيء انشقاقا واسعا ، فاللّفظان يشتركان في معنى عام وهو الانشقاق ، ويختص الانبجاس بخروج الماء ، أمّا الانفجار عام بمعنى الانشقاق ، سواء كان بخروج الماء أو غيره ، وقد ورد اللّفظان في القرآن الكريم بدلالتين متقاربتين: الأول في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾** [الأعراف من الآية 160] ،فالانبجاس دون الانفجار في الكثرة والسّعة والغزارة ، وتلك هي المرحلة الأولى لخروج الماء من الحجر ، فالمخرج ضيّق ، والماء لم يبلغ بعد مستوى الكثرة والغزارة ، وأمّا لفظ الانفجار فتكرّر كثيرًا في القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾** [القمر من الآية:12] ، وقوله تعالى: ﴿**وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾** [الكهف من الآية:33] ،وسياق الآيات المذكورة واضح فيه معنى الكثرة والقوة والغزارة.[37]

إذن فالتّغاير الدلالي بين اللّفظتين واضحٌ وبيّن فهما وإن تقاربتا في المعنى ، ولكنّهما لا تحملان الشّحنة الدّلالية نفسها ، فكلّ واحدة تختص بالموضع الذي وضعت فيه.

5.3 البخل والشّح:

البخل في اللّغة : ضدّ الكرم ، وهو إمساك المال والمقتنيات عمّا لا يحق حبسها عنه ، والشّح في اللّغة : أشدّ البخل ، وفيه حرص ، ويشمل المال والمعروف ، كما أنّه عادة متأصلة ثابتة في نفس الشّحيح ، وقد اقترن البخل في الاستعمال القرآني بالمال دون غيره من الخير والمعروف ، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** [آل عمران من الآية: 18.] ،وقوله تعالى: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾** [محمد من الآية:38] ، أمّا الشّح فهو

طبع متأصل في النّفس ، وحرص النّفس على الحقوق وقلة التّسامح فهو شح في المال وغيره ، قال عزّ وجلّ: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾ [النساء من الآية: 128] ،وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر من الآية:09].[38]

فالشّح يشمل البخل في المال وغيره من أعمال المعروف لذلك فهو أشدّ منه ، وإن كان يقاربه في المعنى من حيث المنع والحبس .

6.3. الخوف والخشية:

لا يكاد اللّغوي يفرّق بين الخوف والخشية ، فيوردهما الكثيرون على أنّهما لفظان مترادفان ، يؤدي كلّ منهما معنى الآخر من غير فرق ، فالخشية : خوف مشوب بتعظيم المخشي ، صادر عن علم ويقين صادق ، ومعرفة بعظمته ، حتى وإن كان الخاشي قويا ، ولذلك خُصّ العلماء بالخشية في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر من الآية:28] ،وخشية الله منزلة رفيعة ، يختص بإدراكها فئة معيّنة من النّاس ، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**﴾ [يس الآية:11] ،وقال أيضا ﴿**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**﴾ [ق:33] ، أمّا الخوف : فإنّه توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة ، والخوف يكون غالبًا من ضعف الخائف ، وإن كان المخوف منه أمرا يسيرا ، شيئًا هيّنا ، والخوف لا يليق بالرّسل ، لأنّه ضعف ، قال تعالى: ﴿**يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [النمل من الآية:10].[39]

7.3. الغمام والسّحاب:

الغمام : هو السّحاب الأبيض الرّقيق ، وسمي غماما لاشتقاقه من الغم ، وهو ستر الشيء ...لذا تجده في القرآن الكريم لم يستعمل لقصد سقوط المياه ، إذ الغمام سحاب لا ماء فيه ، فكان لبني إسرائيل كالظلة لهم يقيهم حرّ الشّمس ، قال تعالى: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**﴾ [البقرة: من الآية:57] ، ويأتي في مواضع العقاب فيحجب السّماء عن الأرض بظلّته ، قال تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾ [البقرة الآية:210] ، أمّا السّحاب فمأخوذة من السّحب ، أي الجرّ وذلك لانسحابه في الهواء ، أو لجرّه الماء... وورد في مواضع إحياء الأرض وحصول الغيث ، قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾ [الأعراف من الآية:57] ، حتّى إنّ الكافرين إذا نزل بهم سخطٌ

من السّماء تصوّروا أنّه سحاب مركوم يحيي ، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ**﴾ **[الطور الآية:44]**، فهم يظنون أنّه غيث حلّ أرضهم ، لذا استبشروا به.[40]

8.3. المطر والغيث:

الغيث هو الحيا النّازل من السّماء ، وسُمي الغيث حيًّا ، لأنّه تحيا به الأرض ، وأصل الغيث يقترب من الغوث الذي بمعنى النّصر والعون ، والغيث يأتي في مواضع الرّحمة والبشر ، والقرآن كشف عن هذه المزية للغيث ، و أنّه سبب لنّماء وحصول الزّرع ، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيد**﴾ [الشورى الآية:28]، وقال سبحانه أيضًا: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾ [الحديد من الآية:20]، أمّا المطر فهو الماء المنسكب ، وقد يكون نافعا وضارا في وقته وفي غير وقته ،كما قال تعالى: ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ**﴾ [النساء من الآية:102]، وهو الإشارة إلى حلول غضب الله ، إذ موضعه موضع انتقام ، فيرسله عقابا للأمم الكافرة الغارقة في غيّها ،قال تعالى: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف ، الآية: 84]، وقال سبحانه أيضا: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ**﴾ [هود من الآية:82].[41]

فمردّ الفرق بين كلمتي المطر والغيث — وإن تقاربتا في المعنى- هو القرآن الكريم ، وبالنظر في السياق الذي وردت فيه هاتين اللّفظتين ، عُلمت دلالة كلٍّ منهما.

9.3 الحلف والقسم:

قد فرّق القرآن الكريم بين الحلف والقسم في غير ما موضع ، فذكر الحلف في معرض اليمين الكاذب في حين جاء القسم في الأيمان الصادقة غالباً ، وأهل المعاجم ، وإن لم يفرّقوا بينهما ففسّروا أحدهما بالآخر ، غير أنّنا نلتمس في الاستعمال العربي الفصيح ما يثبت أنّ الحلف يُستعمل في اليمين الكاذب ، فيقولون: حلفة فاجر ، وناقة محلّفة السّنام ، للمشكوك في سنّها ، أمّا في القرآن الكريم فقد اقترن الحلف بالكذب فيه ، لقوله تعالى: ﴿**وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [المجادلة من الآية: 14]، وقال تعالى: ﴿**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [التوبة من الآية:107]، واقتران الحلف بالكفارة

يدلّ على الحنث في اليمين ، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ**﴾ [المائدة من الآية: 89] ، أمّا القسم فيرد في الآيات التي يُقسم فيها الحق سبحانه بما يشاء من خلقِه ، وإنّه قسم حق ، وقول صدق ، وإن كان مصدّراً بلا أُقسم ، فمعناه : أُقسم ، قال تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الحاقة الآية من:39،38] وكما أنّ القسم إذا أسند إليه تعالى يكون حقًا ، تجد أنّه إذا كان بالله صراحة فهو صدقٌ ، وإن صدر عن قوم ضالين ، قال تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ**﴾ [فاطر ،من الآية: 42].[42]

10.3 الأثر و العلامة:

الأثر في اللّغة: ما بقي من الشيء ، أمّا العلامة في اللّغة: السّمة المميزة للشيء ، وفي ثنايا التّعريف القاموسي للفظين تفرقة دلالية دقيقة بينهما ، حيث إنّ : الأثر ما بقي بعد غياب الشيء أو معظمه ، وعلى ذلك فقد يكون ظاهراً ، وقد يكون خفيًّا يحتاج إلى بحث وفحص للوقوف عليه ، أمّا العلامة ففيها ملمح الظهور المميّز ، وقد راعى الاستعمال القرآني هذا الفرق الدّلالي بين اللّفظين ، ولنتأمل الآيات التالية: قال تعالى: ﴿ **قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**﴾ **[طه من الآية:96]، كما قال تعالى:** ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ **[الفتح من الآية: 29]،** فالأثر قد يكون ظاهراً وقد يكون خفيًّا ، أمّا العلامة فلابدّ فيها من الظهور والتّميّز **، لقوله تعالى:** ﴿ **وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [النحل الآية:]16.[43]

فاللّفظان وإن كان بينهما تقارب دلالي ، كما أنّهما يشتركان في المعنى العام ، إلاّ أنّه لكلٍّ منهما صفة مميّزة ، فالعلامة تتميّز بالظهور ، بينما الأثر قد يكون ظاهرا ، وقد يكون خفيًّا.

4.خاتمة:

لقد أفضت بنا هذه الدراسة إلى استخلاص بعض النتائج الأساسية التي يمكن إجمالها فيما يلي:

. تميزت الكلمة القرآنية بحسن اختيارها ودقة انتقائها مما يعكس لنا وجها من وجوه الإعجاز الذي لا يمكن أن يكون في غير لغة القرآن الكريم

. إنّ معرفة الفروق الدقيقة بين المفردات القرآنية طريق لفهم النص القرآني وفقه الكلام الرّباني.

. يعتبر أكثر من اشتغل بمعرفة الفروق اللغوية وخصائص الكلمة القرآنية المفسّرون وذلك بغية الوصول للدلالة العميقة للكلمة وما توحي إليه.

. مسألة تحري الفروق من القضايا الهامة التي وقع فيها الاختلاف بين مثبت لها ومنكر يقول بالتّرادف ، رغم أنّ القول بالتّرادف التّام يعدّ سلبا لأهم مميّزات اللّغة العربية ، وهو ثراؤها اللّغوي ويحرمها خاصية من خصائصها .

. دعا القرآن الكريم إلى تحري الدّقة في اختيار الألفاظ ، وكان هذا المنهج من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم فالمتأمل في الاستعمال اللّغوي للكلمات القرآنية يلمس فروقا بحسب السياق الذي وردت فيه ولا يمكن أن تحل محله أخرى.

. لقد عكست معرفة مختلف الفروق بين الألفاظ جمالية على الكلمات القرآنية ، ممّا كشف عن تماسك وتلاحم بين وحدات القرآن الكريم انطلاقا من أصغر أجزائه إلى النص بمجمله .

5.قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، دط ، 2003.
3. حمد أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، دط ، 2005م.
4. حمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المكتبة السّلفية ، الرّياض ،ج3 ،دط ، دت ، رقم الحديث:1478.
5. أحمد ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، دط ، 1328ه ، 1910م.
6. أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللّغة ، تحقيق: محمد عبد السّلام هارون ،دار الفكر ،1979 ، ج2.
7. أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية) ،مؤسسة الرّسالة ، لبنان ، ط1998 ،2م.
8. أبو الفتح ابن جني ، الخصائص ، تحقيق: محمد علي النّجار ، المكتبة العلمية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، دط ، دت.
9. تقي الدين بن عبد الحليم ابن تيمية ، مقدّمة في أصول التّفسير ،تحقيق: عدنان زرزور ، ط2 ، 1972م.

10. جمال الدين ابن منظور، معجم لسان العرب، دار صادر، لبنان، ج9،دط، دت.أبو سليمان محمد الخطابي،
11. بيان إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في الإعجاز)، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.
12. أبوعبد الرحمن جلال الدّين السّيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، بيروت، ج01، دط، 1986م.
13. عمرو بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1.
14. علي بن محمد السيّد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد الصّديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت.
15. فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى الدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1412ه، 1991م.
16. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى(القرآن)، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت.
17. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، دت، دط.
18. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصّحاح، إخراج: دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1986م.
19. محمد بن عبد الرحمن الشّايع، الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1993م.
20. محمد حسين الصّغير، تطور البحث الدلالي(دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، لبنان، ط1، 1999م.
21. محمد علي التّهانوي، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، لبنان، ط1996 ،1م، ج1.
22. مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، لبنان ،ط3، 1973م.
23. أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية ،لبنان، ط5، 2018م.
24. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، الفروق الفقهية و الأصولية، مكتبة الرّشد، الرياض، ط1، 1419ه، 1998م.

6.الهوامش والإحالات:

[1] محمد محمد داوود، كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار، القاهرة، دط، دت، ص205.

[2] مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1393 ،9ه، 1973م، ص226.

[3] أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دط، 2005م، ص51.

[4] أبو سليمان محمد الخطابي ، بيان إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في الإعجاز)، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1976م ، ص29.

[5] محمد حسين الصّغير ، تطور البحث الدلالي(دراسة تطبيقية في القرآن الكريم ، دار المؤرخ العربي ، لبنان ، ط1 ، 1999م ، ص64.

[6] فتح الله أحمد سليمان ، مدخل إلى الدّلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 1412ه ، 1991م ، ص35.

[7] جمال الدين ابن منظور ، معجم لسان العرب ، دار صادر ، لبنان ، ج9 ،ص115 ،114.

[8] محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصّحاح ، إخراج: دائرة المعاجم ، مكتبة لبنان ، بيروت ، دط ، 1986 ، ص101.ص101

[9] أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللّغة ، تحقيق: محمد عبد السّلام هارون ،دار الفكر ،1979 ، ج2 ، ص493 .494.

[10] علي بن محمد السيّد الشريف الجرجاني ، تحقيق: محمد الصّديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، دط ، دت ، ص50.

[11] محمد علي التّهانوي ، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم ، تح: علي دحروج ، مكتبة لبنان ، لبنان ، ط1996 ،1م ، ج1 ، ص406.

[12] يُنظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربية ، مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة ، دط ، 2003 ، ص157 ، 158 ، 159.

[13] محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، دت ، دط ، ص200.

[14] محمد المبارك ، المرجع السّابق ، ص318.

[15] عبد الرحمن جلال الدّين السّيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ج01 ، دط ، 1986 ، ص405.

[16] أحمد ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، دط ، 1328ه ، 1910م ، ص15.

[17] عثمان بن قنبر سيبويه ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1988 ، ج1 ، ص24.

[18] أبو الفتح ابن جني ، الخصائص ، تحقيق: محمد علي النّجار ، المكتبة العلمية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، دط ، دت ، ص373.

[19] جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ج10 ، ص299. 303.

[20] أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج4 ، ص493 ، 494.

[21] يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين ، الفروق الفقهية و الأصولية ، مكتبة الرّشد ، الرياض ، ط1 ، 1419ه ، 1998م ، ص05.

[22] أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط5 ، 2018م ، ص21.

[23] أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية) ،مؤسسة الرّسالة ، لبنان ، ط1998 ،2م ، ص695.

[24] يُنظر: محمد بن عبد الرحمن الشّايع ، الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط1 ، 1993م ، ص84. 85.

[25] عبد الرحمن السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، ج1 ، ص
[26] جلال الدين السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ، ج1 ،ص403.
[27] المرجع نفسه ،ج1 ،ص400.
[28] المرجع نفسه ،ص 405
[29] أبو هلال العسكري ، الفروق اللّغوية ، تحقيق: محمد باسل عيون السّود ، دار الكتب العلمية ،لبنان ، ط5 ، 2018م ، ص33.
[30] محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى(القرآن) ، دار الفكر العربي ، مصر ، دط ، دت ، ص109.
[31] محمد بن عبد الرحمن الشايع ، الفروق اللّغوية ولأثرها في تفسير القرآن الكريم ، ص177.
[32] أحمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المكتبة السّلفية ، الرّياض ،ج3 ،دط ، دت ، رقم الحديث:1478 ، ص340.
[33] تقي الدين بن عبد الحليم ابن تيمية ، مقدّمة في أصول التّفسير ،تحقيق: عدنان زرزور ، ط 2 ، 1972م ، ص51.
[34] يُنظر: محمد محمد داوود ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، ص25.
[35] يُنظر: محمد ياس خضر الدوري ، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ، ص154.
[36] أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، ص57.
[37] يُنظر محمد محمد داوود ، الفروق الدلالية ، في القرآن الكريم ، ص101 ، 102.
[38] المرجع نفسه: ص106.
[39] يُنظر: محمد بن عبد الرحمن الشّايع ، الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم ، ص270.
[40] يُنظر: محمد ياس الدوري ، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ، ص120. 121.
[41] يُنظر: المرجع السّابق ، ص121 ، 122.
[42] يُنظر: محمد ياس خضرالدّوري ، المرجع السّابق ، ص193.194.
[43] يُنظر محمد محمد داوود ، الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، ص30.31.